

# 5 سنوات على الجرح السوري «الربيع»

## «الجبهة الشمالية»: سباق الرايات والغايات

رغم التحولات الكبيرة التي طرأت على خارطة المجموعات المسلحة في الشمال السوري، حافظت التنظيمات ذات الصبغة «الجهادية» على النصيب الأكبر. سواء في ما يتعلق بالسطوة، أو حجم رقعة الانتشار

### صهيب عنجيني

مع دخول «الأزمة السورية» عامها السادس، احتفظت جبهة الشمال بصفة أعقد الجبهات على الإطلاق بفعل عوامل عدة، من بينها تشارك المصالح الإقليمية والدولية حيناً، وتقاطعها حيناً آخر، إضافة إلى استمرار «النفوذ الجهادي». تحولات كبيرة طاولت الشمال، سواء لجهة نجاح الجيش السوري وحلفائه في فك حصار نبل والزهره وتقدمهم المتسارع في ريف حلب الشمالي، أو لجهة تزايد نفوذ «الوحدات» الكردية بعد تطعيمها ببعض المكونات الأخرى تحت مسمى «قوات سوريا الديمقراطية». ولطالما شكلت المجموعات الكردية المسلحة عامل تعقيد إضافياً، خاصة في ظل التحولات التي طرأت بين وقت وآخر على الأداء السياسي الكردي، والذي انعكس بطبيعة الحال على المشهد الميداني، وتطور تحالفاته. في الشهور الأخيرة، انفرجت «قسد» بكونها الطرف القادر على تنسيق تحركاته العسكرية مع كل من روسيا والولايات المتحدة (وعبرها مع التحالف الدولي). البعد العشائري الذي يسود الشمال الشرقي (الرقعة، الحسكة، دير الزور) يُعد بدوره عاملاً إضافياً في التعقيد، خاصة أن تحالفات العشائر وولاءاتها مرشحة دائماً للتبدل. اتساع الحدود مع الأتراك يبدو عاملاً

أساسياً في تطورات الجبهة، وبات من المعلوم أن للحكومة التركية أجندة خاصة بها تطمح إلى توجيه مسارات الحرب وفقاً ليوصلتها، وهي أجندة تنفرد بحيثيات مختلفة عن الأجندة الدولية بالعموم، على الرغم من تداخل الاثنين في تفاصيل وأهداف عدة. ثمة تناسب بين خصوصية الجبهة الشمالية وبين كونها مسرح التدخل المباشر لـ «غارات التحالف». وتجدر الإشارة إلى أن الجبهة الشمالية تضم في واقع الحال ست محافظات من أصل الأربع عشرة محافظة سورية، مع الأخذ في الاعتبار أن ريف دير الزور يمتد إلى وسط سوريا (بحساب خطوط العرض) والمحافظات هي: حلب، إدلب، الرقة، دير الزور، الحسكة، علاوة على ريف الشمال محافظة اللاذقية، (الذي بقي وحده في منأى عن غارات التحالف)، خلافاً للغارات الروسية التي شملت معظم الجغرافيا السورية، مع تركيز خاص على الشمال.

### «الجهاديون»، بيضة القبان

كثيرة هي المجموعات المسلحة في الشمال السوري. وباستثناء «حركة نور الدين زنكي» وبعض «الألوية التركمانية»، فإن الفاعلية القتالية الحقيقية تكاد تكون محصورة بالمجموعات «الجهادية». الأخيرة، حافظت على حضورها في الشمال بالعموم، وتحاول التمسك بوجودها في حلب على وجه الخصوص، وأبرزها: - تنظيم «الدولة الإسلامية - داعش»، رغم الانحسار الكبير لنفوذها، لكنه ما زال ممسكاً بأجزاء واسعة من محافظة الرقة إضافة إلى معظم محافظة دير الزور، ويواصل مساعيه للتمدد في ريف الحسكة. ورغم تضائل مساحات سيطرته في ريف حلب، لكنه حافظ على وجود قوي في الريف الشرقي على وجه الخصوص، يسهم

في ذلك قرب هذه المناطق من معقله في الرقة. - «جبهة النصرة» (الفرع السوري لتنظيم القاعدة): تبسط سيطرتها على مساحات واسعة من محافظة إدلب، متحالفة مع مكونات «جيش الفتح»، ومتنافسة معها على النفوذ في الوقت ذاته؛ كذلك، يتوزع مقاتلو «النصرة» في ريف حلب على جبهات عدة، خاصة في ريفها الغربي. كذلك يحضرون على جبهة المخابرات الجوية (جمعية الزهراء)، ويحافظون على تمركزات في أحياء سليمان الحلبي، كرم الطراب، بستان القصر، باب النيرب، الصاخور، الحيدرية، وبعض أحياء حلب القديمة. - «حركة أحرار الشام الإسلامية»: رغم كل محاولات الإيحاء بـ «تغيير نهجها»، تبقى «أحرار الشام» واحدة من أبرز المجموعات «الجهادية». تتبنى فكراً تتمازج فيه أيديولوجيات «القاعدة» و«السلفية الجهادية»

«الفاعلية تكاد تكون محصورة بالمجموعات الجهادية»

و«الإخوان المسلمين». نشأت في ريف محافظة إدلب، وما زال خزأنها البشري الأبرز. ويُعتبر وجودها هناك واحداً من عوائق انفراط «النصرة» بالمحافظة. ورغم أن الطرفين كانا قريبين مرات عدة من التحول نحو الاحتراب، غير أن الاشتباكات التي دارت بين بعض مكوناتها غير مرّة لم تتطور، وما زالت «قيادات» الطرفين والجهات الداعمة لهما قادرة على احتواء الوضع، وتأجيل الاحتراب

### تبقى «أحرار الشام» واحدة من أبرز المجموعات (الناضول)



الذي لا يُستبعد تفجره حال وجود قرار إقليمي. لـ «الحركة» وجود أيضاً في ريف حلب (الشمال) على وجه الخصوص، كما في ريف حماة، وتحتفظ بـ «خلايا نائمة» في محافظة الرقة. يتراوح عديد مسلحيها في الشمال بالعموم بين 9 و10 آلاف. أبرز محطات «الحركة» كانت مقتل مؤسسها حسان عبود وعدد كبير من قياديينها في أيلول 2014. («الأخبار» العدد 2397)، لتصبح بعدها أكثر قرباً من الأتراك. خلال العام الأخير حاولت الظهور في صورة «الفصيل المعتدل»، وخاصة عبر «المكتب السياسي» الذي يضطلع به لبيب نحاس. لكن الوزن «الجهادي» داخل صفوف «الحركة» العسكرية أطاح محاولات نحاس، وحال بينه وبين لعب دور فاعل في «الهيئة العليا للتفاوض» كما كان يأمل، وأدام في الوقت نفسه الهيمنة التركية على «الحركة» («الأخبار» العدد 2763). حظيت «الحركة» طوال الوقت بدعم من الأتراك والقطريين (مالياً، وعسكرياً، ولوجيستياً، وحتى إغاثياً)، وعبر قنوات عدة أبرزها «جمعية قطر الخيرية» و«صندوق الإغاثة والمساعدات الإنسانية»، وهي منظمة مجتمع مدني مرتبطة بالحكومة التركية. كذلك حظيت بتمويل «الهيئة الشعبية الكويتية» التي يتزعمها الشيخ الكويتي حجاج العجمي.

- «الحزب الإسلامي التركستاني»: الانضواء في صفوفه متأخراً لـ «الجهاديين» الأويغور دون سواهم. وينحدر هؤلاء من إقليم شينغيانغ، غربي الصين (التسمية المعتمدة لدى «الحزب» وداعميه هي «تركستان»). أسسه أبو محمد التركستاني (حسن مخدوم، 1964 - 2003) أواخر تسعينيات القرن الماضي، ويُنادي بالانفصال عن الصين. منذ مطلع عام 2013 شكّل «الحزب» فرعاً له باسم «الحزب الإسلامي التركستاني

## الألوية للإنفاق، على السلاح: المناطق «المحررة» تاكل أولادها

### دمشق - زياد غصن

مناطق عديدة خرجت عن سيطرة الدولة السورية خلال السنوات الخمس الماضية، بعضها فضل قطع صلاته بالدولة ومؤسساتها لأسباب مختلفة، وبعضها الآخر حافظ على «شعرة معاوية» لضمان عدم حدوث شلل في القطاعات الاقتصادية والخدمية. وهذا ما أفضى تدريجياً إلى حدوث تحولات اقتصادية واجتماعية في جميع تلك المناطق، انعكست بأشكال مختلفة على حياة السوريين المقيمين فيها. فمن جهة اضطر سكان تلك المناطق إلى البحث عن طرائق جديدة تساعد على التأقلم مع الظروف الجديدة في معيشتهم وتأمين مستلزمات حياتهم اليومية، ومن جهة ثانية عملت المجموعات المسلحة على «تسخير» وسلب إمكانات تلك المناطق بحجة تأمين «متطلبات» المواجهة العسكرية، لتكون النتيجة بالنهاية تأسيس «كانتونات» متشردمة اقتصادياً وخدمياً واجتماعياً.

### ازمة طويلة

في مدينة جاسم وقرائها في ريف درعا، لم يعد غياب الكهرباء يمثل مشكلة لكثير من السكان، فما عجزت عنه سنوات من حملات التوعية لوزارة الكهرباء، والحديث الحكومي المستمر عن أهمية مشاريع الطاقات المتجددة، أنجزته الحرب في أقل من عامين. هناك، وكما يصف متابع للشأن الاقتصادي يتردد على مسقط رأسه في مدينة جاسم، لا يكاد يخلو سطح منزل من الألواح الشمسية، التي تتباين تبعاً لحجم الاستطاعة المراد توفيرها وللوضع الاقتصادي للعائلة، فعاتلات تحدد



«أكبر نسبة للفقر سجلت في محافظة الرقة»

دولارا، أي إن هناك مبالغ ضخمة أنفقت في هذا المجال. لكن مثل هذا التحول «الإيجابي»، إن صحت تسميته، يبدو نادراً وسط تحولات يتخذ معظمها طابعاً سلبياً، من تراجع المؤشرات المتعلقة بالصحة والتعليم والدخل، إلى انحسار الحريات الشخصية وفرض سلوكيات وتعاليم ترفض الآخر والعلم، فضلاً عن النقص الكبير في السلع والمواد الغذائية والضرورية في بعض المناطق التي تشهد اشتباكات مستمرة وتعاين الحصار. فمثلاً تشير بعض البيانات الإحصائية الصادرة حديثاً إلى أن أكبر نسبة للفقر سجلت في محافظة

الرقة 91,6%، تلتها محافظات إدلب، دير الزور، وحمص، وهي محافظات خارجة بمعظمها عن سيطرة الدولة أو كانت كذلك، كما سُجّلت أكبر نسبة في عدد الأطفال الذين لم يلتحقوا بمدارسهم في محافظتي الرقة ودير الزور 95%، ثم جاءت حلب بنسبة 74%، فريف دمشق بنسبة 49%، وإدلب بنحو 48%. صحيح أن المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة تعاني هي الأخرى الفقر والحرمان والغلاء وشيوع اقتصاديات العنف، إلا أن ذلك لا يقارن بما هو شائع بالمناطق، التي يصير البعض على تسميتها «المحررة».

**أولوية المعركة**  
تحكم المجموعات المسلحة بإدارة شؤون المناطق الخارجة عن سيطرة الدولة، أفضى إلى حدوث ترد حاد في الأوضاع الاقتصادية والخدمية، وذلك نتيجة عاملين، الأول افتقاد عناصر هذه المجموعات للخبرة والكفاءة في التعااطي مع قضايا الشأن العام وإدارة المناطق والثاني حرصها على تسخير جميع الإمكانيات المتاحة للمحافظة على قوتها وانتشارها، هذا إضافة إلى